

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الإخلاص

مكيّة ، وهي أربع آيات.

تسميتها :

سميت بأسماء كثيرة أشهرها سورة الإخلاص لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص لله عز وجل ، المنزه عن كل نقص ، المبرأ من كل شرك ، ولأنها تخلّص العبد من الشرك ، أو من النار. وسميت أيضا سورة التفريد أو التجريد أو التوحيد أو النجاة أو الولاية لأن من قرأها صار من أولياء الله ، أو المعرفة ، وتسمى كذلك سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين.

مناسبتها لما قبلها :

المناسبة بينها وبين ما قبلها واضحة ، فسورة الكافرين للتبرؤ من جميع أنواع الكفر والشرك ، وهذه السورة لإثبات التوحيد لله تعالى ، المتميز بصفات الكمال ، المقصود على الدوام ، المنزه عن الشريك والشبيه ، ولذا قرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة ، كركعتي الفجر والطواف ، والضحي ، وسنة المغرب ، وصلاة المسافر. ما اشتملت عليه السورة :

تضمنت هذه السورة أهم أركان العقيدة والشريعة الإسلامية ، وهي توحيد الله وتوحيده ، واتصافه بصفات الكمال ، ونفي الشركاء ، وفي هذا الرد على النصارى القائلين بالتثليث ، وعلى المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى.

ج 30 ، ص : 462

فضلها :

وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة ، وأنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن

لأن كل ما جاء في القرآن بيان لما أجمل فيها ولأن الأصول العامة للشريعة ثلاثة :  
التوحيد ، وتقدير الحلود والأحكام ، وبيان الأعمال ، وقد تكفلت ببيان التوحيد  
والتقديس.

أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري : « أن رجلا سمع رجلا يقرأ  
قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يرددّها ، فلما أصبح ، جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فذكر  
ذلك له ، وكان الرجل يتقاها ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : والذي نفسي بيده ،  
إنها لتعدل ثلث القرآن » .

(30/444)

---

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ  
عليه وَسَلَّمَ لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق ذلك  
عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : الله الواحد الصمد ثلث القرآن  
» .

وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه  
وسلّم : « احشدوا ، فإنني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، فحشد من حشد ، ثم خرج نبي  
الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم ، فقرأ : قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض :  
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم : فإنني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، إني لأرى هذا  
خبرا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم ، فقال : إني قلت :  
سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » .

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي صَلَّى اللهُ عليه

وسلم قال : « أ يعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فإنه من قرأ :  
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ في ليلة ، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » .

ج 30 ، ص : 463

سبب نزول السورة :

أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن أبي بن كعب : أن المشركين قالوا للنبي  
صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأئول الله تعالى : قُلْ : هُوَ اللَّهُ  
أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

زاد ابن جرير والترمذي قال : « الصَّمَدُ الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا  
سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث . وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ولم يكن له شبيه ولا عدل « 1 » ، وليس كمثلته شيء » .

(30/445)

وقال قتادة والضحاك ومقاتل : جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فقالوا : صف لنا ربك ، فإن الله أنزل نعته في التوراة ، فأخبرنا من أي شيء هو ؟  
ومن أي جنس هو ؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة ؟ وهل يأكل ويشرب ؟  
ومن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة  
، وهي نسبة الله خاصة « 2 » .

سورة التوحيد والتنزيه لله عز وجل [سورة الإخلاص (2)11 : الآيات 1 الى 4]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

- 
- (1) قال الأخفش : العدل بالكسر المثل ، وقال الفراء : العدل بالفتح : ما عدل الشيء من غير جنسه ، والعدل بالكسر المثل .
- (2) أسباب النزول للواحيدي : ص 262

(30/446)

---

ج 30 ، ص : 464

الإعراب :

قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ هُوَ : ضمير الشأن والحديث ، مبتدأ ، واللَّهُ : مبتدأ ثان ، وَأَحَدٌ : خبر المبتدأ الثاني ، والجملة منهُما خبر المبتدأ الأول ، ولا حاجة لعائد يعود على المبتدأ الأول لأن ضمير الشأن إذا وقع مبتدأ ، لم يعد من الجملة التي وقعت خبراً عنه ضمير لأن الجملة بعده وقعت مفسرة له ، بدليل أنه لا يجوز تقديمها عليه .  
اللَّهُ الصَّمَدُ مبتدأ وخبر .

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ لَمْ يَلِدْ : أصله (يولد) فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، كيعد ، ويؤن ، والأصل : يوعد ويوزن ، ولهذا لم تحذف في يُولَدْ لوقوعها بين ياء وفتحة . وَأَحَدٌ : اسم يَكُنْ ، وَكُفُوًا : خبرها . وَلَهُ : متعلق ب كُفُوًا وقدم عليه للاهتمام به إذ فيه ضمير الباري تعالى ، والتقدير : ولم يكن أحد كفواً له ، أي مكافئه ، فهو في معنى المفعول ، متعلق ب كُفُوًا . وأخر أَحَدٌ رعاية للفاصلة .

البلاغة :

قُلْ : هُوَ ذَكَرَ الْاسْمَ الْجَلِيلَ بِضَمِيرِ الشَّأْنِ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ .

اللَّهُ الصَّمَدُ تعريف كل منهما لإفادة التخصيص .

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ جناس ناقص ، لتغيير الشكل وبعض الحروف .

قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يقتضي نفي الكفاء والولد ، وقوله : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ هو

تخصيص بعد تعميم ، زيادة في الإيضاح والبيان ، وتقدير ما يسمى التجريد أو التفريد .

أَحَدٌ ، الصَّمَدُ ، لَمْ يُولَدْ ، أَحَدٌ سجع مرصع .

المفردات اللغوية :

أَحَدٌ أي واحد في ذاته ، لم يتركب من جواهر مادية ولا من أصول غير مادية ، وهو

أيضا وصف بالوحدانية ونفي الشركاء . الصَّمَدُ المقصود في جميع الحوائج على الدوام . لَمْ

يَلِدْ لأنه لم يفتقر إلى ما يعينه ، ولأنه لا مجانسة بينه وبين غيره فهذا نفي للشبه

والمجانسة . وَلَمْ يُولَدْ لأنه قديم أولي غير محدث ، انتفى الحلوث عنه ، فهو وصف

بالقدم والأولية . كُفُوًا أي مكافئا ومماثلا . والكف والمكافئ : النظير والمثيل ، والمراد أنه

لم يكن أحد يكافئه ، في يماثله من صاحبه وغيرها .

ج 30 ، ص : 465

التفسير والبيان :

قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أي قل أيها الرسول لمن سألك عن صفة ربك ونسبته : هو الله أحد

، أي واحد في ذاته وصفاته ، لا شريك له ، ولا نظير ولا عدل . وهذا وصف

بالوحدانية ونفي الشركاء . والمعنى : هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات

والأرض وخالقكم ، وهو واحد متوحد بالألوهية ، لا يشرك فيها . وهذا نفي لتعدد

الذات .

اللَّهُ الصَّمَدُ أي الذي يصمد إليه في الحاجات ، أي يقصد ، فهو المقصود في جميع

الحاجات لأنه القادر على تحقيقها ، والمعنى : هو الله الذي يقصد إليه كل مخلوق ، لا يستغني عنه أحد ، وهو الغني عنهم. وهذا إبطال لاعتقاد مشوكي العرب وأمثالهم بوجود الوسائط والشفعاء.

(30/447)

---

قال ابن عباس في تفسير الصمد : يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم ، وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكيمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته ، لا تنبغي إلا له ، ليس له كفاء ، وليس كمثل شيء ، سبحانه الله الواحد القهار.

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ أَي لَمْ يَصْدَرْ عَنْهُ وَلَدٌ ، وَلَمْ يَصْدَرْ هُوَ عَنْ شَيْءٍ لِأَنَّهُ لَا يَجَانِسُهُ شَيْءٌ ، وَلِأَنَّهُ قَدِيمٌ غَيْرٌ مُحَدَّثٌ ، لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ ، وَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَهَذَا نَفِيٌّ لِلشَّبهِ وَالْمَجَانِسَةِ ، وَوَصَفٌ بِالْقَدَمِ وَالْأُولِيَّةِ ، وَنَفِيٌّ الْحَلُوثِ .

وفي الجملة الأولى نفي لوجود الولد لله ، ورد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله ، وعلى اليهود القائلين : عزيز ابن الله ، وعلى النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، وفي الجملة الثانية نفي لوجود الوالد ، وسبق العدم.

ج 30 ، ص : 466

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَي لَيْسَ لِلَّهِ أَحَدٌ يَسَاوِيهِ ، وَلَا يَمِثَلُهُ ، وَلَا يَشَاكُهُ فِي شَيْءٍ .

وهذا نفي لوجود الصاحبة ، وإبطال لما يعتقد به المشركون العرب من أن لله ندا في أفعاله ، حيث جعلوا الملائكة شركاء لله ، والأصنام والأوثان أندادا لله تعالى .

(30/448)

و للسورة نضائر في آيات أخرى ، مثل قوله تعالى : **بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ [الأنعام 6 / 101]** أي هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف له من خلقه نظير ؟ ، وقوله : **وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم 19 / 92-95]** وقوله : **وَقَالُوا : اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ [الأنبياء 21 / 26-27]** .

جاء في صحيح البخاري : **« لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيههم »** .  
وروى البخاري أيضا وعبد الرزاق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« قال الله عز وجل : كذّبي ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذّبيه إياي فقلوه : لن يعيدني كما بدّاني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ، وأما شتمه إياي فقلوه : اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد »** .  
فقه الحياة أو الأحكام :

1- تضمنت هذه السورة الموجزة إثباتا ونفيا في آن واحد.

فقد أبانت أن الله تعالى واحد في ذاته وحقيقته ، منزه عن جميع أنحاء التركيب ، ونفت عنه كل أنواع الكثرة بقوله : الله أَحَدٌ.

ج 30 ، ص : 467

وأوضحت أن الله غني بذاته كريم رحيم ، تحتاج إليه جميع الخلائق في قضاء الحوائج ، متصف بجميع صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، ونفت عنه كل أنواع الاحتياج إلى الآخرين بقوله : الله الصَّمَدُ.

(30/449)

---

وقررت أن الله أحد فرد ، ليس له شيء من جنسه ، ولم يلد أحدا ، وليس له لاحق يماثله ، ونفت عن نفسه المجانسة والمشابهة بقوله : لَمْ يَلِدْ.

وكذلك هو قديم أولي أزلي غير مسبوق بالعدم ، فلا والد له ، ولا سابق له ، ونفت عنه الحلوث والأولية بقوله : وَلَمْ يُولَدْ.

وهو سبحانه أيضا لا مقارن له في الوجود ، ولا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة ولا نديد ، ونفى عن ذاته العلية الأنداد والأشباه بقوله : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

وكل إثبات تقرير لعقيدة الإسلام القائمة على التوحيد والتنزيه والتقديس ، وكل نفي رد على أصحاب العقائد الباطلة كالثنوية القائلين بوجود إلهين اثنين للعالم وهما النور والظلمة ، والنصارى القائلين بالتثليث ، والصابئة القائلين بعبادة الأفلاك والنجوم ، واليهود الذين يقولون : عزيز ابن الله ، والمشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله.

فقوله : أَحَدٌ يبطل مذهب الثنوية ، وقوله : الله الصَّمَدُ تبطل مذهب من أثبت خالقا سوى الله لأنه لو وجد خالق آخر ، لما كان الحق مصمودا إليه في طلب جميع



الحاجات ، وقوله : **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** يبطل مذهب اليهود في عزير ، والنصارى في المسيح ، والمشركين في أن الملائكة بنات الله .  
وقوله : **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** يبطل مذهب المشركين حيث جعلوا الأصنام أكفاء لله وشركاء .

ج 30 ، ص : 468

2- قال العلماء : هذه السورة في حق الله تعالى ، مثل سورة الكوثر في حق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لكن الطعن في حق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بسبب أنهم قالوا : إنه أبتر لا ولد له ، وهنا الطعن بسبب أنهم أثبتوا لله ولدا لأن عدم الولد في حق الإنسان عيب ، ووجود الولد عيب في حق الله تعالى ، ولهذا السبب قال هنا :

**قُلْ لِيُدْفَعِ عَنِ اللَّهِ ، وَفِي سُوْرَةِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ لَمْ يَقُلْ (قُلْ) وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً ، حَتَّى يَدْفَعَ بِنَفْسِهِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « 1 » .**

---

(1) تفسير الرازي 32 / 185

(30/450)

---

ج 30 ، ص : 469